

القاهرة المعزية

ووجوب الاحتفاء بعيدها الألفي

للأستاذ محمد عبد الله عنان

- ٢ -

تقرب القاهرة المعزية من عيدها الألفي دون أن يشير ذلك في دوائرنا الرسمية أو الأدبية كبير صدى ؛ ومن الغريب أن بعض الأجانب الوافدين الذين يكتبون عن بلادنا الفصول والملاحظات الطائفة لم يفهم أن ينوهوا فيما يكتبونه عن القاهرة بأنها مدينة ألفية ، وأنها موطن الجامعة الألفية الوحيدة في العالم ؛ ذلك أن هذه الحقيقة التاريخية تثير حقاً أعظم اهتمام من كل أولئك الذين يضطرمون إعجاباً بعظمة التراث الخافئ ، ويحنون رؤوسهم لإجلال لروعة التاريخ

وإذا كانت القاهرة ليست هي المدينة الألفية الوحيدة بين حواضر العالم القديم ، وإذا كانت أثينة ورومة والإسكندرية وقسطنطينية تشاطرها هذا الفخر وتفوقها في مداه ، بل تشاطرها هذا الفخر حواضر إسلامية أخرى مثل بيت المقدس ، ودمشق ، وبغداد ، فإنها مع ذلك تمتاز على هذه الحواضر جميعاً بأنها تمثل أروع عصور التاريخ جنباً إلى جنب ؛ فالآثار الفرعونية الباهرة التي تفيض فيها وراء القرون تشرف عليها مجللة بروعة الخلود ، وآثار العصور الإسلامية المختلفة تنبت في جنباتها وتسبغ عليها لونا إسلامياً عميقاً وتزينها بكل ما ازدانت به هذه العصور المجيدة من فن وروعة وبذخ ؛ ثم أن بشائر العصر الحديث وأمارات الحضرة الناصح ، وكل ألوان الحضارة المعاصرة بما فيها من تطور وتجديد وابتكار ، تطبعها بطابعها القوي ، فهي من هذه الناحية من أجل وأحدث العواصم القديمة ، بل هي تفوق من هذه الناحية عواصم العالم القديم : رومة وأثينة وقسطنطينية ، ومع ذلك فإن هذا التجدد السريع لم يجردها من جلالها القديم ، ولم يخلع عنها تلك الروعة التي يسبقها تعاقب الاحقاب على الحواضر النالدة

كيف يبيعنا هذا الشيخ وينادي علينا وينزلنا منزلة العبيد ويفسد محلنا من الناس ويتنذل أقدارنا ونحن ملوك الأرض ؟ وما الذي يفقد هذا الشيخ من الدنيا فيدرك ما نحن فيه ؟ إنه يفقد ما لا يملك ويفقد غير الموجود ، فلا جرم لا يبال ولا يرجع عن رأيه مادام هذا الرأي لا يمر في منافعه ولا في شهواته ولا في أطماعه كالذين نراهم من علماء الدنيا . أما والله لأضربنه بسيفي هذا فما يموت رأيه وهو حي .

ثم ركب النائب في عسكره وجاء الى دار الشيخ واستل سيفه وطرق الباب

فخرج ابنه عبد اللطيف ورأى ما رأى فانقلب الى أبيه وقال له : انج بنفسك ، إنه الموت ، وإنه السيف ، وإنه وإنه فإكثر الشيخ لذلك ولا جزع ولا تغير بل قال له : يا ولدي ! أبوك أقل من أن يقتل في سبيل الله

وخرج لا يعرف الحياة ولا الموت فليس فيه الانساني بل الالهى ؛ ونظر الى نائب السلطنة وفي يده السيف ؛ فانطلقت أشعة عينيه في أعصاب هذه اليد فبيست ووقع السيف منها وتناول به روحه القوية فاضطرب الرجل وتزلزل وكأنما تكسر من أعصابه فهو يردد ولا يستقر ولا يهدأ وأخذ النائب يبكي ويسأل الشيخ أن يدعو له ؛ ثم قال : ياسيدي ما تصنع بنا ؟

قال الشيخ : أناذى عليكم وأبيكم

— وفيهم تصرف ثمتنا ؟

— في مصالح المسلمين

— ومن يقبضه ؟

— أنا

وكان الشرع هو الذي يقول (أنا) ، فتم للشيخ ما أراد ونادى على الأمراء واحداً واحداً واشتط في ثمنهم لا يبيع الواحد منهم حتى يبلغ الثمن آخر ما يبلغ . وكان كل أمير قد أعد من شيعته جماعة يستامونه ليشتروه . . .

ودمغ الظلم والنفاق والطغيان والتكبر والاستطالة على الناس بهذه الكلمة التي أعلنها الشرع :

أمراء للبيع ! أمراء للبيع . . .

(ملطاً)

سفر دهر قوس

وقد تضع هذه الهيئات برامجها وتبدأ استعداداتها للاحتفاء بأحدى الذكريات القومية العظيمة قبل وقوعها بأعوام عديدة ، فإذا حل موعد الذكرى كانت الاحتفالات العظيمة والمهرجانات الباذخة والمظاهرات القومية الرائعة التي تحج إليها الوفود من كل صوب ، والتي تتخذ وسيلة للدعاية الواسعة في سائر الأقطار الأخرى

ولن يحض سوى القليل حتى تواجه مصر عيدين من أجل الأعياد القومية : هما العيد الألفى لقيام القاهرة المعزية ، والعيد الألفى للجامع الأزهر ؛ فإذا فعلت دوائرنا الرسمية والعلمية للاحتفاء بهذين الحادثين العظيمين ؛ أ كبر الظن أنه لم تتخذ حتى الآن أية خطة رسمية مقررة في هذا الشأن سوى ما رددته مشيخة الأزهر منذ ثلاثة أعوام في شأن الاحتفال بعيد الأزهر ، ثم انقطع صدهاء بعد حين ؛ وأ كبر الظن أنه سيمضي حين آخر قبل أن توضع برامج أو تقرر اعتمادات أو تتخذ أهبات في هذا السبيل ؛ فإذا وقعت الجهات المختصة إلى اتخاذ أية خطوة عملية كان ذلك بعد فوات الوقت أو في آخر لحظة ، وعندئذ يحجب الاحتفال خلواً من الروعة التي يجب أن تحاط بها مثل هذه المناسبات

والواقع أن ما تبقى من الوقت يتنا وبين هذين العيدين الجليلين لا يكاد يكفي لاتخاذ أهبات غير عادية ؛ فليس يتنا وبين عيد القاهرة الألفى الذي يقع في شعبان سنة ١٣٥٨ سوى ثلاثين شهراً ؛ ويقع العيد الألفى للأزهر بعد ذلك بعدة أشهر في جمادى الأولى سنة ١٣٥٩ ؛ بيد أنه مازال ثمة متنسح من الوقت يكفي للعمل الجدى المتواصل في سبيل تنظيم الاحتفاء القومى بهذين العيدين في نوع من الفخامة والجلال

٥٥٥

ولقد كانت القاهرة المعزية منشأة فاطمية ، نمت وترعرعت في كنف الدولة الفاطمية الباذخة ، وشهدت في ظلها ألوانا ساحرة من الفخامة والبذخ والبهاء ، يقصها عليك المؤرخون المعاصرون مثل المسبحى وابن الطوير وابن المأمون ؛ وكان الأزهر غرس الدولة الفاطمية البانع ، بل كان أينع ما غرست دولة اسلامية ، وأعظمه قدراً ، وأبعده أثراً ، وأبقاه على كـ

وفي وسع القاهرة أن تنبه على عواصم العالم القديم كلها بتراتها الأثرى والفنى الباهر ؛ ذلك أنها فضلاً عما يحتويه متحفها الفرعونى الشهير من الكنوز الرائعة التي لا تضارعها أية كنوز أثرية أخرى ، تحتفظ بأعظم مجموعة من آثار العصور الوسطى يمكن أن تفخر بها مدينة عظيمة ومنها آثار المدينة الألفية القديمة التي ما زالت ماثلة إلى يومنا

والقاهرة ليست مدينة عظيمة فقط ، وإنما هى كباقي حواضر العالم القديم عنوان حضارة وبجمع تاريخ ؛ وتاريخ الأمصار العظيمة من أهم النواحي في تاريخ الحضارات والدول ، ولا سيما في العصور الوسطى ، حينما كانت حياة المدينة ترتبط أشد الارتباط بمصاير حضارة أو دولة معينة . وإذا كان تاريخ أثينة والمجتمع الأثينى يعنى تاريخ اليونان القديم دولة وحضارة . وإذا كان تاريخ رومة ومجتمعاتها في عصور الجمهورية والامبراطورية ، هو تاريخ الرومان والحضارة الرومانية ، وإذا كان تاريخ قسطنطينية في العصور الوسطى ، هو تاريخ الدولة البيزنطية وحضارتها ، فإن تاريخ القاهرة وتاريخ أسرها الملوكية ومجتمعاتها الرسمية والشعبية هو تاريخ مصر الاسلامية وتاريخ حضارتها في العصور الوسطى

٥٥٥

ولا ريب أن العيد الألفى لمصر من الأمصار النالدة أو منشأة من المنشآت الجليلة هو من الحوادث القومية العظيمة التي يحق للأمم أن تفخر بها وتمتاز ؛ ذلك أن هذه الأعياد الألفية ليست من الاحداث العادية في تواريخ الأمم ، بل هى بالعكس احداث فريدة نادرة ، ومثولها في تاريخ أمة من الأمم دليل على عراقه هذه الأمة في ماضيها وحضارتها ودليل على ما تمتاز به من الحيوية والصفات الأزلية ؛ ومصر أمة أزلية بلا ريب ، وهى من هذه الوجهة نستطيع أن تنبه على أمم الأرض جميعا بما جباها الله به من صفات الأزلية والخلود التي ترجع بها إلى ما قبل عصور التاريخ ؛ وتتخذ الأمم العظيمة من الاشادة بهذه الذكريات والخواص الأزلية وسيلة للدعاية ، وتحيطها بأعظم مظاهر التكريم ، وتتبع في ذلك سياسة ثابتة تقوم على تنفيذها هيئات خاصة يقظة لكل ما يجد من هذه المناسبات ؛

جنيه ؛ فهل تبخل مصر بأن ترصد مثل هذا المبلغ بل أن ترصد اضعافه للاحتفال بعيد القاهرة وعيد أزهرها الألفي ؟ ان اقامة مهرجان ألى لمدينة القاهرة تتحج اليه وفود الأمم من أنحاء الشرق والغرب يكون أعظم دعاية لمصر الثالثة ومصر الفتية الحديثة معا ، وأعظم وسيلة للتعريف عن ماضيها الباهر وعظمتها السالفة ؛ وأن اقامة مهرجان ألى للجامع الأزهر تشترك فيه وفود الجامعات والهيئات العلمية من جميع الأمم يكون مظاهرة اسلامية علمية رائعة للاعلان عن الدور العظيم الذى أدته الجامعة الألفية في تكوين التفكير الاسلامى لا في مصر فقط ولكن في العالم الاسلامى كله ، وعن الصرح العلوي العظيم الذى كان الأزهر قوامه والذى لبث ملاذ التفكير الاسلامى والآداب العربية قرونا مديدة ولا سيما في عصور الاستعباد والانحلال الفكرى والاجتماعى تلك دعوتنا المتواضعة نرسلها لليرة الثانية راجين أن تجد صدق قويا في دوائرنا الرسمية والعلمية ، فتعمل على تحقيق هذه الأمنية القومية الكبرى بكل ما يجب لها من روعة وجلال محمد عبده رحمه الله

لجنة التأليف والترجمة والنشر

أعادت اللجنة طبع الجزء الأول من كتاب

أصول التربية

للأستاذ أمين مرسى قنسى

وكيل معهد التربية

للمرة الرابعة

وهذه الطبعة مزيده وموسعة

وعدد صفحات الجزء المذكور ٣٧٦

وثمنه عشرون قرشا عدا أجرة البريد

ويطلب من لجنة التأليف والترجمة والنشر بدارها رقم ٩

شارع الكرداسى بعابدين بالقاهرة ومن المكاتب الشهيرة

العصور ؛ ولقد قامت الخلافة الفاطمية بمصر بعد قيام القاهرة والجامع الأزهر بقليل ، في رمضان سنة ٣٩٢ هـ (يونية سنة ٩٧٣ م) حينما قدم المعز لدين الله أول الخلفاء الفاطميين بأهله وماله إلى القاهرة عاصمته الجديدة ؛ ففي أعوام قلائل يكون قد مضى ألف عام على قيام الخلافة الفاطمية بمصر ، وقد كانت هي الخلافة الاسلامية المستقلة الوحيدة التى قامت بمصر الاسلامية ، وعاشت في ظلها أكثر من قرنين

أفلا يجمل أيضا أن نحتفى بذكرى الخلافة الفاطمية منشئة القاهرة والجامع الأزهر لمناسبة مرور ألف عام على قيامها بمصر ؟

إن ذكرى الخلافة الفاطمية ترتبط أشد الارتباط بذكرى القاهرة والأزهر حتى إنه يصعب أن نحتفى بهديهما دون أن تشغل ذكرى الخلافة الفاطمية مكانتها في هذين العيدين ؛ وإن يكون للإشارة بهذه الذكرى سوى معناها التاريخي الجليل ، ولن تحيط بها أى اعتبارات دينية أو مذهبية ؛ ونذكر للتنبؤ بهذا المعنى التاريخي الجليل ، أن اسبانيا النصرانية لم ترأساً من الاحتفاء بذكرى الخلافة الاسلامية ؛ ففي سنة ١٩٢٩ احتفلت جامعة قرطبة بذكرى الخلافة الاسلامية لمناسبة مرور ألف عام على قيامها بقرطبة ؛ وقد كان قيام الخلافة الاسلامية في قرطبة كما نعرف سنة ٣١٧ هـ الموافقة لسنة ٩٢٩ ميلادية ، وكان أول خلفاء الأندلس من بنى أمية عبد الرحمن الناصر ، وهذه الذكرى التاريخية الجليلة هي التى احتفلت بها جامعة قرطبة في سنة ١٩٢٩ ، وكان لتصرفها أجمل وقع في العالم الاسلامى

ولقد جرت مصر الفتية الناهضة على انتهاز كل الفرص والمناسبات العلمية والاجتماعية الدولية والاشترك فيها ، والاعلان عن نفسها بأحسن ما تعلن أمة حديثة ناهضة ؛ وهي تلي كل عام عشرات الدعوات لشهود المؤتمرات والمعارض الدولية المختلفة والمهرجانات العلمية ولا تبخل في ذلك السبيل بالاتفاق لأنها تقدر كل ما تجنيه من الفوائد المعنوية والمادية من الاشتراك في تلك الاجتماعات الدولية الكبيرة ؛ وقد كانت آخر مناسبة من هذا النوع اشتركاها في معرض باريس الدولي ، وهو اشترك اقتضت نفقاته الرسمية منها زهاء عشرين ألف